السِّمَاتُ البَارِزَةُ لِهَذِهِ المرْحَلَةِ

١- محاولة القضاء على الدعوة بشتى الأساليب .

٢- كثرة الإيذاء للنبى ﷺ وأصحابه .

٣- النبى ﷺ يربى أصحابه على الصبر على الإيذاء .

٤- النبى يربى أصحابه على العقيدة الصحيحة .

٥- المشركون يعرضون المال والمناصب على النبى ﷺ فلا يقبلها .

٦- النبى ﷺ يبشر أصحابه بنصر الله والتمكين لدينه[1] .

السِّمَةُ الأُولَى: مُحَاوَلَةُ القَضَاءِ عَلَى الدَّعْوَةِ بِشَتَّى الأَسَالِيبِ:

لَمَّا فرغت قريش من الحج فكرت فى أساليب تقضى بها على هذه الدعوة فى مهدها وتتلخص هذه الأساليب فيما يلى:

١- السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك:

قصدوا بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية فرموا النبى ﷺ بتهم هازلة وشتائم سفيهة فكانوا ينادونه بالمجنون: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجر: ٦] ويصمونه بالسحر والكذب: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤] وكانوا كما قص الله علينا: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المطففين: ٣٠ - ٣٣] .

وقد أكثروا من السخرية والاستهزاء ؛ حتَّى أثَّر ذلك فى نفس رسول الله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر: ٩٧] ثم ثبته الله وأمره بما يذهب بهذا الضيق فقال: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٨ - ٩٩] .

٢- إثارة الشبهات وتكثيف الدعايات الكاذبة:

وقد أكثرو من ذلك وتفننوا فيه ؛ بحيث لا يبقى لعامة الناس مجال للتدبر فى دعوته

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ١٠١ .

والتفكير فيها فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥] وقالوا: ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤] وقالوا عن النبي: إنه شاعر؛ وكلامه شعر قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

وقالوا أيضًا اعتقادًا منهم: إن منصب النبوة أجَلُّ وأعظم من أن يعطى لبشر: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٧] فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١١] كما أنهم أنكروا البعث بعد الموت فكانوا يقولون: ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٦ - ١٧] فردَّ الله تعالى عليهم: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٣- الحيلولة بين الناس وبين سماعهم القرآن ومعارضته بأساطير الأولين:

كان المشركون يحولون بين الناس وبين سماعهم القرآن فكانوا يطردون الناس ويثيرون الشغب والضوضاء، ويتغنون ويلعبون إذا رأوا أن النبي ﷺ يتهيأ للدعوة أو إذا رأوه يصلي ويتلو القرآن قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦] حتى إنَّ النبي ﷺ لم يتمكن من تلاوة القرآن في مجامعهم ونواديهم إلا في أواخر السنة الخامسة من النبوة؛ وذلك عن طريق المفاجأة دون أن يشعروا بقصده قبل بداية التلاوة، وكان النضر بن الحارث أحد شياطين قريش قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم وأسفنديار؛ فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا للتذكير بالله والتحذير من نقمته خلفه النضر يقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار ثم يقول: بِمَاذا محمد أحسن حديثًا مني؟

٤- مساومات وتنازلات:

ولَمَّا فشلت قريش في مفاوضاتها المبنية على الإغراء والترغيب والتهديد وخاب أبو

جهل فيما أبداه من الرعونة وقصد الفتك - كما سيأتى ذكره بعد - رأوا أن يساوموه ﷺ فى أمور الدين ويلتقوا به فى منتصف الطريق فيتركوا بعض ما هم عليه ويطالبوا النبى ﷺ بترك بعض ما هو عليه وظنوا أنهم بهذا الطريق سيصيبون الحق إن كان ما يدعو إليه النبى ﷺ حقًا .

روى ابن إسحاق بسنده قال: اعترض رسول الله ﷺ - وهو يطوف بالكعبة الأسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل السهمي وكانوا ذوى أسنان فى قومهم - فقالوا: يا محمد هَلُمَّ فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ؛ فنشترك نحن وأنت فى الأمر ؛ فإن كان الذى تعبد خيرًا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون: ١ - ٦] (١) .

وَفْدُ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ :

قال ابن إسحاق: مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ؛ فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه ، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقًا وردهم ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ولكن لم تصبر قريش طويلاً حين رأته ﷺ ماضيًا فى عمله ودعوته إلى الله بل أكثرت ذكره وتذامرت فيه ؛ حتى قررت مراجعة أبى طالب بأسلوب أغلظ وأقسى من السابق .

قُرَيْشٌ يُهَدِّدُونَ أَبَا طَالِبٍ :

وجاءت سادات قريش إلى أبى طالب فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنَّا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا ؛ حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك ؛ حتى يهلك أحد الفريقين . .

---

(١) باختصار من الرحيق المختوم ٨٦: ٩٠ - ١٠٩ .

عَظُمَ على أبى طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد فبعث إلى رسول الله وقال له: يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى، فقالوا لى كذا وكذا فأبق علىَّ وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله ﷺ أن عمه خاذله وأنه ضعف عن نصرته فقال: «**يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر؛ فلن أتركه حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر وبكى وقام؛ فلمَّا ولى ناداه أبو طالب فلما أقبل قال له: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا**».

قريش بين يدى أبى طالب مرة أخرى:

ولَمَّا رأت قريش أن رسول الله ﷺ ماض فى عمله عرفت أن أبا طالب قد أَبى خُذْلان رسول الله ﷺ وأن مجمع لفراقهم وعداوتهم فى ذلك فذهبوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له: يا أبا طالب إن هذا الفتى أنهد فتى فى قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله؛ فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني أتعطونى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبدًا فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا فقال: والله ما أنصفتمونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم علىَّ فاصنع ما بدا لك.

ولَمَّا فشلت قريش فى هذه المفاوضات ولم توفق فى إقناع أبى طالب بمنع رسول الله ﷺ وكفه عن الدعوة إلى الله قررت أن يختار سبيلاً قد حاولت تجنبه والابتعاد منه مخافة مغبته، وما يؤول إليه وهو سبيل الاعتداء على ذات الرسول ﷺ [1].

السِّمَةُ الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ الإِيذَاءِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ:

فى هذه المرحلة كان المسلمون يتعرضون لأشد أنواع الإيذاء من كفار قريش، وها هي بعض صور الإيذاء التى تعرض لها النبى ﷺ وأصحابه[2].

---

(١) الرحيق المختوم ٩٣ - ٩٤.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ١٠٥.

أَوَّلاً : إِيذَاءُ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ

إيذاء أبى لهب للنبى ﷺ :

كان أبو لهب فى مقدمة من أرادوا إيذاء النبى ﷺ، وكان قد زوج ولديه عتبة وعتيبة ببنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم قبل البعثة ؛ فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة ، حتى طلقاهما . .

ولَمَّا مات عبد الله - الابن الثانى لرسول الله ﷺ استبشر أبو لهب وذهب إلى المشركين يبشرهم بأن محمدًا صار أبتر فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ٣] وقد كان أبو لهب يجول خلف النبى ﷺ فى موسم الحج والأسواق ؛ لتكذيبه ، وقد روى طارق بن عبد الله المحاربى ما يفيد أنه كان لا يقتصر على التكذيب بل كان يضربه بالحجر ؛ حتى يدمى عيناه[١] .

إِيذَاءُ أُمِّ جَمِيلٍ امْرَأَةِ أَبِى لَهَبٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

وكانت امرأة أبى لهب أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان لا تقلّ عن زوجها فى عداوة النبى ﷺ فقد كانت تحمل الشوك وتضعه فى طريق النبى ﷺ وعلى بابه ليلاً وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها وتطيل عليه الافتراء والدس وتؤجج نار الفتنة ، وتثير حربًا شعواء على النبى ﷺ؛ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب ، ولما سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفى يدها فهر ، أى: بمقدار ملء الكف من حجارة ؛ فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟! قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ؛ ثم قالت: مُذَمَّمًا عصينا . . وأمره أبينا . . ودينه قلينا ، ثم انصرفت فقال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ أما تراها رأتك؟"قال: «**ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى**»[٢] .

إِيذَاءُ أَبِى جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

عن أبى هرير رضى الله عنه قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه[٣] بين أظهركم؟!

---

(١) الرحيق المختوم ص ٩٤ مختصرًا .

(٢) رواه البيهقي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي . . سيرة الرسول أبو عمار ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) يعفر وجهه أي: يسجد ويلصق وجهه بالتراب .

قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرنَّ وجهه فى التراب قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه[١] ويتقى بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بينى وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا منِّى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»[٢].

وعن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ فجاء أبو جهل فقال: أَلَمْ أَنْهَكَ عن هذا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عن هذا؟ فانصرف النبى ﷺ فزبره[٣] فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر منى، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ [العلق: ١٧ - ١٨] قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله[٤].

إِيذَاءُ عُقْبَةَ بنِ أَبِى معيْط لِلْنَبِىِّ ﷺ:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: "بينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور[٥] بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا[٦] جزور بنى فلان؛ فيأخذه فيضعه فى كتفي محمد إذا سجد.

فانبعث أشقى القوم، أى: عقبة بن أبى معيط؛ فأخذه فلما سجد النبى ﷺ وضعه بين كتفيه قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبى ساجد ما يرفع رأسه؛ حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهى جويرية[٧] فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتمهم فلما قضى النبى صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم.

وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى:**

---

(١) ينكص على عقبيه: رجع يمشي إلى الوراء.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) فزبره: نهره.
(٤) سيرة الرسول أبو عمار ص ١٠٦.
(٥) جزور: الناقة.
(٦) سلا: اللفافة التي تكون في تطن الناقة وسائر الحيوانات.. وهي من الآدمي المشيمة.
(٧) جويرية: شابة لم تكبر بعد.

obeikandl.com

اللَّهُـــمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ»(١) .

إيذاء أُمَيَّة بن خَلَف لِلنَّبِيِّ ﷺ :

كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه وفيه نزل: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾ [الهمزة: ١ - ٩] قال ابن هشام الهمزة: الذى يشتم الرجل علانية ويكسر عينيه ويغمز به، واللمزة: الذى يعيب الناس سرًّا ويؤذيهم .

إيذاء الأَخْنَس بن شُرَيْقٍ الثَّقَفِيِّ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

كان الأخنس بن شريق ممن ينال من رسول الله ﷺ وقد وصفه القرآن بتسع صفات تدل على ما كان عليه وهى فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ ﴾ [القلم: ١٠ - ١٣](٢) .

ثانيًا : إيذاء قُرَيْشٍ لأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ :

وإذا كانت هذه الاعتداءات على النبى ﷺ وله من الجلال والوقار فى نفوس العامة والخاصة فكيف بالصحابة الكرام لا سيما الضعفاء منهم وسوف نسوق شيئًا من ذلك يكون فيه سلوى وعزاء للدعاة إلى الله - عز وجل- فى هذه الأزمنة الغابرة تثبت أقدامهم على الطريق وتعطيهم القدوة والمثل .

ما حَدَثَ لِعُثْمَانَ رضى الله عنه :

كان عم عثمان بن عفان يلفه فى حصير من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته، وروى أنه عندما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطًا؛ وأقسم ألا يحله إلا إذا ترك الإسلام فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام، فلما رأى عمه صلابته فى دينه تركه .

---

(١) البخاري ٢٤٠ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٩٦ .

مَا حَدَثَ لِمُصْعَب بنِ عُمَيْرٍ رضى الله عنه :

ولَمَّا علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيتها ، وكان من أنعم الناس عيشًا فتخشف جلده تخشف الحية ؛ وحتى حمله أصحابه على قسيهم لشدة ما به من الجهد[1] .

مَا حَدَثَ لِبلالٍ رضى الله عنه :

كان بلال مولى أمية بن خلف الجمحى فكان أمية يضع فى عنقه حبلاً ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به فى جبال مكة ويجرونه حتى كان الجبل يؤثر فى عنقه وهو يقول: أحد أحد ، وكان أمية يشده شدًّا ؛ ثم يضربه بالعصا ويلجئه إلى الجلوس فى حر الشمس كما كان يكرهه على الجوع ؛ وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى الرمضاء فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا ؛ حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك: أحد أحد ويقول: لو أعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها .

ما حدث لآل ياسر رضي الله عنهم :

وكان عمار بن ياسر رضى الله عنه مولى لبنى مخزوم ؛ أسلم هو وأبوه وأمه فكان المشركون وعلى رأسهم أبو جهل يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها ومر بهم النبى ﷺ وهم يعذبون فقال: «**صبرًا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**» . .

فمات ياسر فى العذاب وطعن أبو جهل سمية أم عمار فى قبلها بحربة فماتت وهى أول شهيدة فى الإسلام ، وهي سمية بنت خياط مولاة أبي حذيفة بن المغيرة وكانت عجوزا كبيرة ضعيفة ، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة ، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى ، وبغطه فى الماء ؛ حتى كان يفقد وعيه ، وقالوا له: لا نتركك ؛ حتى تسب محمدًا أو تقول فى اللات والعزى خيرًا فوافقهم على ذلك مكرهًا وجاء باكيًا معتذرًا إلى النبى ﷺ فأنزل الله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦] .

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ١١٤ .

ما حدث لخبَّاب بن الأرتِّ رضى الله عنه :

وكان خبَّابُ بن الأرتِّ مولى لأم أَنْمَار بنت سباع الخزاعية وكان حدادًا ؛ فلما أسلم عذبته مولاته بالنار ، كانت تأتى بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره أو رأسه ؛ ليكفر بمحمد ﷺ فلم يكن يزيده ذلك إلا إيمانا وتسليما وكان المشركون أيضًا يعذبونه فيلوون عنقه ويجذبون شعره ، وقد ألقوه على النار ثم سحبوه عليها فما أطفأها إلا ودك ظهره .

مَا حَدَثَ لِزَنِّيرَةَ رضى الله عنها :

وكانت زنيرة أَمَةٌ رُومِيَّةٌ قد أسلمت ؛ فعذبت فى الله وأصيبت فى بصرها حتى عميت ، فقيل لها: أصابتك اللات والعزى فقالت: لا والله ما أصابتنى وهذا من الله ، وإن شاء كشفه ، فأصبحت من الغد وقد ردَّ الله بصرها فقالت قريش: هذا بعض سِحْرُ محمَّدٍ[١] .

السِّمَةُ الثَّالِثَةُ : النَّبِيُّ ﷺ يُرَبِّى أَصْحَابَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الإِيذَاءِ :

كان النبى ﷺ يكلم أصحابه كثيرًا عن نعمة الصبر على الأذى ؛ ليصبروا على أذى المشركين ، ويرجوا الثوب من رب العالمين ، قال ﷺ : «**حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»[٢] .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٣]:«**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ؛ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ؛ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» .

وعن أبى سعيد وأبى هريرة قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[٤] .

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لابُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي**»[٥] **وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ**

---

(١) الرحيق المختوم ٩٠ - ٩١ .
(٢) مسلم ٢٨٢٣ .
(٣) أحمد ١٦١٠ ، الترمذى ٢٣٩٨ ، صحيح الجامع ٩٩٢ .
(٤) البخارى ٥٦٤٢ ، مسلم ٢٥٧٣ .
(٥) الضر: من مرض أو فاقة أو محنة ، عبر في الحياة بقوله (ما كانت) لأنها حاصلة ، ولما كانت الوفاة غير

الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي» [١] .

وعـن أبـى هريـرة رضـى الله عـنه قـال: قـال رسول الله: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»** [٢] .

وعـن أنس رضى الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ؛ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** [٣] .

وَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ : **«إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخَطُ»** [٤] .

وقـال ﷺ : **«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله؛ حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»** [٥] .

بـتلك الكلمات العذبة كان النبى ﷺ يربط على قلوب أصحابه مما يجعلهم يتحملون الأذى والابتلاء ؛ من أجل الفوز بالمغفرة والرحمة والجنة من الله جَلَّ وَعَلاَ .

السِّمَةُ الرَّابِعَةُ : النَّبِىُّ ﷺ يُرَبِّى أَصْحَابَهُ عَلَى العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ :

لقـد سكب النبى ﷺ التوحيد الخالص فى قلوب أصحابه من أول وهلة فكان يغذى أرواحهـم بـرغائب الإيمـان ، ويزكى نفوسهم بتعليم الحكمة والقرآن ويربيهم تربية دقيقة عمـيقة ، يحـدو بنفوسـهم إلى منازل سمو الروح ونقاء القلب ونظافة الخلق والتحرر من سـلطان الماديـات والمقاومـة للـشهوات والنـزوع إلى رب الأرض والـسموات ؛ فازدادوا رسـوخًا فـى الـدين وعـزوفًا مـن الـشهوات وتفانـيًا فـى سبيل المرضاة وحنينًا إلى الجنة وحرصًا على العلم وفقهًا فى الدين ومحاسبة للنفس وتقيدًا بالصبر والهدوء والوقار .

ولقد كان القرآن الكريم طيلة الفترة المكية يتحدث عن العقيدة علمًا وعملاً مرة من خـلال قـصص الأنبـياء – عليهم السلام- ودعوة أقوامهم إلى التوحيد ، ومرة من خلال

حاصلة الآن حسُنَ أن يأتي بصيغة الشرط .

(١) البخارى ٥٦٧١ ، مسلم ٢٦٨٠ ، أبو داود ٣١٠٨ .

(٢) أحمد ٧١ ، البخارى ٥٦٤٥ ، مالك ١٧٥٢ .

(٣) الترمذى ٢٣٩٦ ، ابن ماجة ٤٠٣١ .

(٤) أبو داود ٤٤٥٦ ، صحيح الجامع ٢١١٠ .

(٥) رواه الترمذي في الزهد وحسنه الألباني ، راجع: سيرة الرسول أبو عمار ١١٨ - ١٢٠ .

المحاجة المباشرة ومع المشركين وهلهلة عقيدتهم وتسفيهها وغير ذلك من الأساليب المختلفة .

ولقد كان فى مقدور الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- البدء مع أقوامهم من غير هذا الطريق الشاق الذى كلفهم العناء والبلاء والذى قد يبدو ولأوّل وهلة أنه الأسهل ؛ كأن تبدأ الدعوة فى جمع الناس على أهداف قبليّة وعصبيّة أو أهداف اجتماعية طبقية أو أهداف أخلاقية سلوكية ؛ فإذا اجتمعوا على هذه الرايات بلغوهم العقيدة وطالبوهم بالتزامها ورفض ما سواها! .

هذا هو تصور البشر القاصر الجاهل ولكن ربَّ البشر - سبحانه - والذى هو أعلم بخلقه لم يرد هذا الطريق ، ولو بدأ لأوّل وهلة أنه الأيسر ، إنه سبحانه وتعالى أراد البدء بدعوة الناس إلى عبادته وتوحيده - سبحانه وتعالى- وخلع كل ما يعبد من دون الله ؛ حتى إذا امتلأت القلوب بمعرفة الله وتوحيده والخوف منه جاءت الأوامر والنواهى والأحكام وقد استعدت النفوس لقبولها ؛ وأذعنت لتنفيذها ، ولو نزل من أول الأمر لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا ، ولو نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا .

لما تقررت فى القلوب: "لا إله إلا الله" صنع الله بها وبأهلها كل شيء ، وأعطى أهل التوحيد فوق ما يخطر على بالهم وأعظم مما تتمناه قلوبهم .

فبنعمة التوحيد تطهرت النفوس والأخلاق وزكت القلوب والأرواح دون أن يحتاج الأمر حتى للحدود التى شرعها الله- إلا فى الندرة النادرة ؛ لأن الرقابة قامت هناك فى الضمائر ، ولأن الطمع فى رضا الله وثوابه والخوف من غضبه وعقابه قد قام مقام الرقابة ومكان العقوبات .

وارتفعت البشرية فى نظامها وفى أخلاقها وفى حياتها كلها إلى القمة السامقة التى لم ترتفع إليها من قبل قط والتى لم ترتفع إليها من بعد إلا فى ظل الإسلام وفيما سبق ردّ على من يستعجل فى إقامة الدولة الإسلامية قبل استقرار العقيدة فى القلوب وتخلصها من ركام الشرك بشتى صوره ؛ لأنه لا قيمة لنظام إسلامى يقوم والناس الذين سيحكمهم النظام الإسلامى لم يستعدوا بعد لقبوله ولم يتخلصوا من رواسب الجاهلية وأدران الشرك .

إنه يجب أن تستقر العقيدة فى قلوب الداعين إليها أولاً ثم يدعون الناس إليها علمًا

وعملاً لا مجرد عقيدة نظرية لا رصيد لها فى القلوب ولا فى الواقع ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل وجهد مرير وصراع مع الباطل وأهله ؛ حتى تتهيأ النفوس لنصر الله - عز وجل- فى وقته الذى يختاره الله - سبحانه .

إن ميزة الإسلام أنها عقيدة حيَّة إيجابية ما إن تستقر فى القلب ؛ حتَّى تحوله إلى شعلة وحركة وجهاد وتضحية ، وهذا هو الذى يظهر للمتأمل فى دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث علموا العقيدة وعملوا بمقتضاها ودعوا إليها وصبروا على الأذى فى سبيلها ، وضحوا من أجلها بكل نفس ونفيس[1] .

الهِجْرَةُ الأُولَى إِلَى الحَبَشَة :

كانت بداية الاعتداءات فى أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة بدأت ضعيفة ثم لم تزل تشتد يومًا فيومًا وشهرًا فشهرًا ؛ حتى تفاقمت فى أواسط السنة الخامسة ونبا بهم المقام فى مكة ، وأخذوا يفكرون فى حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم وفى هذه الظروف نزلت سورة الزمر ، تشير إلى اتخاذ سبيل الهجرة ، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠] .

وكان رسول الله ﷺ قد علم أن أصحمة النجاشى ملك الحبشة ملك عادل ، لا يظلم عنده أحد فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم من الفتن .

وفى رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة كان مكونًا من اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة ، رئيسهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وقد قال النبى ﷺ فيهما: «**إنهما أول بيت هاجر فى سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام**» .

وكان رحيل هؤلاء تسللاً فى ظلمة الليل ؛ حتى لا تفطن لهم قريش ، خرجوا إلى البحر ويمموا ميناء شعيبة ، وقيدت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة ، وفطنت لهم قريش فخرجت فى آثارهم لكن لَمَّا بلغت إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين ، وأقام المسلمون فى الحبشة فى أحسن جوار .

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار مختصرا ١٢٧ - ١٢٩ .

سُجُودُ المُشْرِكِينَ مَعَ المُسْلِمِينَ وَعَوْدَةُ المُهَاجِرِينَ:

وفى رمضان من نفس السنة خرج النبى ﷺ إلى الحرم وفيه جمع كبير من قريش؛ فيهم ساداتهم وكبراؤهم فقام فيهم وفاجأهم بتلاوة سورة النجم ولم يكن أولئك الكفار سمعوا كلام الله من قبل؛ لأنهم كانوا مستمرِّين على ما تواصى به بعضهم بعضًا من قولهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦].

فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلام إلهيٌّ خلابٌ وكان أروع كلام سمعوه قط أخذ مشاعرهم ونسوا ما كانوا فيه فما من أحد إلا وهو مُصْغٍ إليه؛ لا يخطر بباله شيء سواه؛ حتى إذا تلافى خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب ثم قرأ: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦٢] ثم سجد لم يتمالك أحد نفسه؛ حتى خرَّ ساجدًا..

وفى الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد فى نفوس المستكبرين والمستهزئين فما تمالكوا إلا أن يخروا لله ساجدين، وسقط فى أيديهم لَمَّا أحسوا أن جلال كلام الله لوى زمامهم فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم فى محوه وإفنائه، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل جانب؛ فمن لم يحضر هذا المشهد من المشركين وعند ذلك كذبوا على رسول الله ﷺ وافتروا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها ما كانوا يرددونه هم دائمًا من قولهم: "تلك الغرانيق العُلَى، وإن شفاعتهم لترتجى".

جاءوا بهذا الإفك المبين؛ ليعتذروا عن سجودهم مع النبى ﷺ، وليس يستغرب هذا من قوم كانوا يألفون الكذب ويطيلون الدَّسَّ والافتراء.

وبلغ هذا الخبر مهاجري الحبشة ولكن فى صورة تختلف تمامًا عن صورته الحقيقية بلغهم أن قريش أسلمت فرجعوا إلى مكة فى شوال من نفس السنة فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار؛ وعرفوا جلية الأمر رجع منهم من رجع إلى الحبشة ولم يدخل فى مكة من سائرهم أحد إلا مستخفيًا أو فى جوار رجل من قريش.

ثم اشتد عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش، وسطت بهم عشائرهم فقد كان صعباً على قريش ما بلغها من النجاشى من حسن الجوار، ولَمْ يَرَ رسول الله ﷺ بُدًّا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى.

الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الحَبَشَة :

واستعد المسلمون للهجرة مرة أخرى ، وعلى نطاق أوسع ؛ ولكن كانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها فقد تيقظت لها قريش وقررت إحباطها بيد أن المسلمين كانوا أسرع ويسر الله لهم السفر ، فانحازوا إلى نجاشى الحبشة قبل أن يدركوا .

وفى هذه المرة هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان فيهم عمَّار فإنه يشك فيه ، وثمان عشرة أو تسع عشرة امرأة .

مَكِيدَةُ قُرَيْشٍ بِمُهَاجِرِى الحَبَشَة :

عَزَّ على المشركين أن يجد المهاجرون مأمنًا لأنفسهم ودينهم فاختاروا رجلين جلدين لَبِيبَيْنِ وهما: عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة قبل أن يسلما ، وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشى ولبطارقته ، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة وزوداهم بالحُجَج التى يَطْرُدُ بها أولئك المسلمين .

وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشى بإقصائهم حضرا إلى النجاشى وقدما له الهدايا ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ؛ لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ؛ لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينًا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك فأسلمهم إليهما ، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم . .

ولكن رأى النجاشى أنه لابد من تمحيص القضية وسماع أطرافها جميعًا فأرسل إلى المسلمين ودعاهم فحضروا وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائنًا ما كان فقال لهم النجاشى: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل؟ قال جعفر بن أبى طالب وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك كنَّا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، ويأكل منا القوي الضعيف ، فكنا على ذلك ؛ حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات .

وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فعدَّدَ عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنَّا به واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله؛ فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك..

فقال له النجاشى: هل معك مما جاء به من الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم.. فقال له النجاشى: فاقرأه علىَّ، فقرأ عليه صدرًا من: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١] فبكى، والله النجاشى؛ حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال لهم النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى؛ ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه فخرجا، فلما خرجا قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبى ربيعة: والله لآتينَّه غدًا عنهم بما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبى ربيعة: لا تفعل؛ فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا ولكن أصر عمرو على رأيه..

فلما كان الغد قال للنجاشى أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا؛ فأرسل إليهم النجاشى يسألهم عن قولهم فى المسيح ففزعوا، ولكن أجمعوا على الصدق كائنًا ما كان فلما دخلوا عليه وسألهم قال له جعفر: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فأخذ النجاشى عودًا من الأرض ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته فقال: وإن نخرتم والله..

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى، والشيوم: الآمنون بلسان الحبشة، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم.

ما أحب أن لى دبرًا من ذهب وأنى آذيت رجلاً منكم، والدبر: الجبل بلسان الحبشة.

ثم قال لحاشيته: ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها؛ فوالله ما أخذ الله منى

الرشوة حين رد عليَّ ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه . .

قالت أم سلمة التى تروى هذه القصة: فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار[١] .

الشِّدَّةُ فِى التَّعْذِيبِ وَمُحَاوَلَةِ القَضَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

ولما أخفق المشركون فى مكيدتهم وفشلوا فى استرداد المهاجرين استشاطوا غضبًا وكادوا يتميزون غيظًا ؛ فاشتدت ضراوتهم وانقضوا على بقية المسلمين ، ومدوا أيديهم إلى رسول الله ﷺ بالسوء ، وظهرت منهم تصرفات تدل على أنهم أرادوا القضاء على رسول الله ﷺ ؛ ليستأصلوا جذور الفتنة التى أقضت مضاجعهم حسب زعمهم . .

ومما روت لنا كتب السنة والسيرة من الأحداث التى تشهد القرائن بأنها وقعت فى هذه الفترة أن عتيبة بن أبى لهب أتى يومًا رسول الله ﷺ فقال: أنا أكفر بـ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم: ١] وبالذي ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] ثم تسلط عليه بالأذى ، وشق قميصه وتفل فى وجهه ﷺ إلا أن البزاق لم يقع عليه ، وحينئذ دعا عليه النبى ﷺ وقال: «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**» وقد استجيب دعاؤه ﷺ فقد خرج عتيبة إثر ذلك فى نفر من قريش فلما نزلوا بالزرقاء من الشام طاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول: يا ويل أخى هو والله آكلى كما دعا محمد عليَّ ، قتلنى وهو بمكة ، وأنا بالشام ، ثم جعلوه بينهم وناموا من حوله ، ولكن جاء الأسد وتخطاهم إليه فضغم رأسه ، وفى رواية البخارى عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون بالنبى ﷺ قال: بينما النبى ﷺ فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر ؛ حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربى الله[٢]؟ .

إِسْلَامُ حَمْزَةَ رضى الله عنه :

وفى هذا الجو الملبد بغيوم الظلم والعدوان ظهر برق أضاء الطريق وهو إسلام حمزة ابن عبد المطلب .

---

(١) الرحيق المختوم ٩٨ - ١٠١ .

(٢) الرحيق المختوم ملخصًا ١٠١ - ١٠٢ .

روى ابن إسحاق عن سبب إسلامه رضى الله عنه أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ؛ فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد إلى ناس من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحًا قوسه راجعًا من قنص له[1] ، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله ؛ حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعزَّ فتًى فى قريش وأشد شكيمة ؛ فلما مر بالمولاة ، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبى الحكم بن هشام وجده ها هنا جالسًا فآذاه وسبه ؛ وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى ولم يقف على أحد معدًّا لأبى جهل إذ لقيه أن يوقع به فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا فى القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فرد ذلك علىَّ إن استطعت ؛ فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة ؛ لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة ، فإنى والله فقد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا ، وتم [2] حمزة رضى الله عنه على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله قد عزَّ وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[3] .

إِسْلَامُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وخلال هذا الجو الملبد بغيوم الظلم والعدوان أضاء برق آخر أشد بريقًا وإضاءة من الأول ألا وهو إسلام عمر بن الخطاب ؛ أسلم فى ذى الحجة سنة ست من النبوة بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة رضى الله عنه ، وكان النبى ﷺ قد دعا الله تعالى لإسلامه . .

فقد أخرج الترمذى عن ابن عمر وصححه وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود وأنس

---

(١) القنص: الصيد

(٢) تم: المراد أتم إسلامه .

(٣) ابن هشام (١ / ١٨٥ - ١٨٦) .

أن النبى ﷺ قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام**» فكان أحبهما إلى الله عمر رضى الله عنه، وخلاصة الروايات مع الجمع بينهما فى إسلامه رضى الله عنه أنه التجأ ليلة إلى البيت خارج بيته فجاء إلى الحرم ودخل فى ستر الكعبة والنبى ﷺ قائم يصلى، وقد استفتح سورة (الحاقة) فجعل عمر يستمع إلى القرآن ويعجب من تأليفه قال: فقلت، أي: فى نفسى: هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤٣] قال: فوقع الإسلام فى قلبى كان هذا أول وقع نواة الإسلام فى قلبه، لكن كانت قشرة النزاعات الجاهلية وعصبية التقليد التعاظم بدين الآباء هى غالبة على مخ الحقيقة التى كان يتهمس بها قلبه؛ فبقى مجدًا فى عمله ضد الإسلام غير مكترث بالشعور الذى يكمن وراء هذه القشرة.

وكان من حدة طبعه وفرط عداوته لرسول الله ﷺ أنه خرج يومًا متوشحًا سيفه؛ يريد القضاء على النبى ﷺ، لقيه نعيم بن عبد الله النحام العدوى ورجل من بنى زهرة أو رجل من بنى مخزوم فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدًا قال: كيف تأمن من بنى هاشم ومن بنى زهرة وقد قتلت محمدًا؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذى أنت عليه! قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر إن أختك وختنك قد صبوا وتركا دينك الذى أنت عليه فمشى عمر دامرًا [1] حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (طه) يقرئهما إياها وكان يختلف إليهما ويقرئهما القرآن؛ فلما سمع خباب حس عمر توارى فى البيت، وسترت فاطمة أخت عمر الصحيفة وكان قد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب إليهما؛ فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة التى سمعتها عندكم؟ فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما فقال له: ختنه: يا عمر أرأيت إن كان الحق فى غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأً شديدًا فجاءت أخته فرفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها.

وفى رواية ابن إسحاق أنه ضربها فشجها فقالت وهى غضبى: يا عمر إن كان الحق فى غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

---

(١) دامرًا: في وجهه شر.

فلما يئس عمر ورأى ما بأخته من الدم ندم واستحيا وقال: أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فاقرؤه ؛ فقالت أخته: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل فقام فاغتسل ثم أخذ الكتاب فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال: أسماء طيبة طاهرة ثم قرأ: (طه) حتى انتهى إلى قوله: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ ﴾ [طه: ١ - ١٤] .

فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! دلونى على محمد ، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر ؛ فإنى أرجو أن تكون دعوة الرسول ﷺ لك ليلة الخميس: «**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو جهل بن هشام**»(١) .

ورسول الله ﷺ فى الدار التى فى أصل الصفا ؛ فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم انطلق ؛ حتى أتى الدار فضرب الباب ، فقام رجل ينظر من خلل الباب فرآه متوشحًا السيف فأخبر رسول الله ﷺ واستجمع القوم فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر ، فقال: وعمر! افتحوا له الباب ؛ فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شرًا قتلناه بسيفه ، ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه فخرج إلى عمر حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ثم جبذه جبذة شديدة فقال: «**أما أنت منتهيًا يا عمر؛ حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب؛ اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب**» فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وأسلم فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد .

كان عمر رضى الله عنه ذا شكيمة لا يرام ، وقد أثار إسلامه ضجة بين المشركين وشعورًا لهم بالذلة والهوان وكسا المسلمين عزة وشرفًا وسرورًا .

---

(١) رواه الترمذي أبواب المناقب ، مناقب عمر بن الخطاب .

روى ابن إسحاق بسنده عن عمر قال: لما أسلمت تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة قال: قلت: أبو جهل فأتيت حتى ضربت عليه بابه فخرج إليَّ وقال: أهلاً وسهلاً . . ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت ما بما جاء به ، قال: فضرب الباب فى وجهى وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به ، وفى رواية لابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب لم تعلم قريش بإسلامه فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحى فخرج إليه وأنا معه أعقل ما أرى وأسمع فأتاه فقال: يا جميل إنى قد أسلمت ، قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامدًا إلى المسجد فنادى بأعلى صوته: أن يا قريش إن ابن الخطاب قد صبا ، فقال عمر- وهو خلفه- كذب ؛ ولكنى قد أسلمت وآمنت بالله وصدقت رسوله . .

فثاروا إليه فما زال يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، وطلح- أى أعيا- عمر- فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل ، لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . .

وبعد ذلك زحف المشركون إلى بيته يريدون قتله روى البخارى عن عبد الله بن عمر قال: بينما هو أى عمر فى الدار خائفًا إذ جاءه العاص بن وائل السهمى أبو عمرو وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير ؛ وهو من بنى سهم وهم حلفاؤنا فى الجاهلية فقال له: ما لك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونى إن أسلمت قال: لا سبيل إليك بعد أن قالها آمنت فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى فقال: أين تريدون؟ فقالوا: هذا ابن الخطاب الذى قد صبا قال: لا سبيل إليه فكر الناس ، وفى لفظ فى رواية ابن إسحاق: والله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه . .

هذا بالنسبة إلى المشركين أما بالنسبة إلى المسلمين فروى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب لأى شيء سميت الفاروق؟ قال: أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام ، ثم قص عليه قصة إسلامه وقال فى آخره قلت - أى حين أسلمت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال:"بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق ، وإن متم وإن حييتم" قال: قلت: ففيم الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق لنخرجنَّ فأخرجناه فى صفين حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر له كديد ككديد الطحين ؛ حتى دخلنا المسجد قال:

فنظرت إلى قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها ؛ فسمانى رسول الله "الفاروق" يومئذ ، وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول: ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر[١] .

السِّمَةُ الخَامِسَةُ : المُشْرِكُونَ يَعْرِضُونَ المَالَ وَالمَنَاصِبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلاَ يَقْبَلُهَا :

وبعد إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما أدرك المشركون أن عليهم تغيير معاملتهم مع النبى ﷺ والمؤمنين ؛ فاختاروا أسلوب المساومات وتقديم الرغائب والمغريات .

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدًا قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا ؛ لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟! وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخى إنك منا حيث قد علمت من البسطة[٢] فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ؛ فاسمع منى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها ؛ لعلك تقبل منها بعضها قال: فقال له رسول الله ﷺ : «**قل يا أبا الوليد أسمع**» قال: يا بن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد به شرفا سوَّدناك علينا ؛ حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا ؛ حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟!**» قال: نعم قال: «**فاسمع منى**» قال:

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ

---

(١) الرحيق المختوم مختصرًا (١٠٣ - ١٠٦) .

(٢) البسطة: الشرف والفضيلة .

وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت: ١ - ٥] .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليها يسمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: «**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك**» ، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال: ورائى أنى قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . . يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ؛ فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال: هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم[1] .

وفى روايات أخرى أن عتبة استمع حتى إذا بلغ الرسول قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت: ١٣] قال: حسبك . . حسبك ، ووضع يده على فم رسول الله ﷺ وناشده بالرحم أن يكف وذلك مخافة أن يقع النذير لعلمه أن محمدًا ﷺ إذا قال شيئًا لم يكذب ؛ فخشى أن ينزل بهم العذاب فقام إلى القوم وقال ما قال[2] .

رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ يُفَاوِضُونَ رَسُولَ اللَّهِ :

وكأن رجاء قريش لم ينقطع بما أجاب به النبى ﷺ عتبة على اقتراحاته ؛ لأنه لم يكن صريحًا فى الرفض أو القبول بل تلا عليه النبى ﷺ آيات لم يفهمها عتبة ورجع من حيث جاء فتشاور رؤساء قريش فيما بينهم ، وفكروا فى كل جوانب القضية ودرسوا كل المواقف بروية وتريث ، ثم اجتمعوا يومًا عند ظهر الكعبة بعد غروب الشمس ، وأرسلوا إلى النبى ﷺ يدعونه فجاء مسرعًا يرجو خيرًا ، فلما جلس إليهم قالوا له مثل ما قال عتبة ، وعرضوا عليه نفس المطالب التى عرضها عتبة ؛ وكأنهم ظنوا أنه لم يثق بجدية هذا العرض حين عرضه عتبة وحده فإذا عرضوا هم أجمعون يثق ويقبل ؛ ولكن قال لهم

---

(١) ابن هشام (١/ ١٨٦ - ١٨٧) .

(٢) ابن كثير ٣ (٢٥٤ - ٢٥٥) تفسير الآية المذكورة ، الرحيق المختوم ١٠٧ .

رسول الله ﷺ : «**ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا عليَّ أصبر لأمر الله؛ حتى يحكم الله بيني وبينكم**» أو كما قال ، فانتقلوا إلى نقطة أخرى وطلبوا منه أن يسأل ربه أن يسير عنهم الجبال ، ويبسط لهم البلاد ويفجر فيها الأنهار ، ويحي لهم الموتى ، ولا سيما قصي بن كلاب ؛ فإن صدقوه يؤمنون به فأجاب بنفس ما سبق من الجواب . .

فانتقلوا إلى نقطة ثالثة وطلبوا منه أن يسأل ربه أن يبعث له ملكا يصدقه ويراجعونه فيه وأن يجعل له جنات وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة فأجابهم بنفس الجواب .

فانتقلوا إلى نقطة رابعة وطلبوا منه العذاب أن يسقط عليهم السماء كسفًا كما يقول ويتوعد فقال: «**ذلك إلى الله إن شاء فعل**» فقالوا: أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك ونطلب منك ؛ حتى يعلمك ما تراجعنا به وما هو صانع بنا إذا لم يقبل؟! وأخيرًا هددوه أشد التهديد وقالوا: أما والله لا نتركك وما فعلت بنا ؛ حتى نهلك أو تهلكنا فقام رسول الله عنهم وانصرف إلى أهله حزينًا لما فاته ما طمع من قومه[1] .

عَزْمُ أَبِي جَهْلٍ عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله أو كما قال ؛ فإذا سجد في صلاته فضخت به[2] رأسه فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبدًا فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام فكان إذا صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله ﷺ

---

(١) الرحيق المختوم ص ١٠٨ .

(٢) فضخت: كسرت .

يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ؛ ما أبو جهل فاعل ؛ فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقعًا لونه [١] مرعوبًا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل ؛ لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته[٢] ولا أنيابه لفحل قط ؛ فهم بى أن يأكلنى قال ابن إسحاق: فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال: «**ذلك جبريل عليه السلام، لو دنا لأخذه**» [٣].

اتِّصَالُ قُرَيْشٍ بِاليَهُودِ:

لما فشلت قريش فى هذه المفاوضات والمساومات قرروا الاتصال باليهود ؛ حتى يتأكدوا من أمره ﷺ قال ابن إسحاق عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ؛ فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا ؛ حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم ؛ لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال: فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم ؛ فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هيه؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبى ، فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوّل فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم ؛ فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ؛ قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم ﷺ : «**أخبركم غدًا عما سألتم عنه**» ولم يستثن[٤] فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة[٥] لا يحدث الله له فى ذلك وحيًا

---

(١) منتقعًا: متغيرا لونه .

(٢) قصرة: أصل العنق .

(٣) ابن هشام (١/ ١٩٠ - ١٩١) .

(٤) ولم يستثن: لم يقل: إن شاء الله .

(٥) في رواية أخرى أن انقطاع الوحي كان ثلاثة أيام .

ولا يأتيه جبريل عليه السلام ؛ حتى أرجف[١] أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدًا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ؛ ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله - عز وجل- بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من خبر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥] [٢] وتبين لقريش أنه ﷺ على حق وصدق ولكن أبى الظالمون إلا كفورًا .

مَوْقِفُ أَبِى طَالِبٍ وَعَشِيرَتِه :

أما أبو طالب فإنه لما واجه مطالبة قريش بتسليم النبى ﷺ لهم ؛ ليقتلوه ثم رأى فى تحركاتهم وتصرفاتهم ما يؤكد أنهم يريدون قتله وإخفار ذمته جمع بنى هاشم وبنى المطلب ودعاهم إلى القيام بحفظ النبى ﷺ فأجابوه إلى ذلك كلهم مسلمهم وكافرهم ؛ حمية للجوار العربى ، وتعاقدوا عليه عند الكعبة إلا ما كان من أخيه أبى لهب ؛ فإنه فارقهم وكان مع قريش[٣] .

المُقَاطَعَةُ العَامَّةُ :

زادت حيرة المشركين إذ نفدت بهم الحيل ، ووجدوا بنى هاشم وبنى المطلب مصممين على حفظ نبى الله ﷺ والقيام دونه كائنًا ما كان ، فاجتمعوا فى خيف بنى كنانة من وادى المحصب فتحالفوا على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم ؛ حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق ألا يقبلوا من بنى هاشم صلحًا أبدًا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل .

قال ابن القيم: يقال: كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم ، ويقال: نضر بن الحارث ، والصحيح أنه بغيض بن عامر بن هاشم ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلّت يده .

تم هذا الميثاق وعلقت الصحيفة فى جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب

---

(١) أرجف: كثرة أقاويلهم دون أن يرجحوا قولاً على آخر .

(٢) ابن كثير (٢ / ٤٠٨) تفسير الآيات .

(٣) الرحيق المختوم ص ١١١ .

مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب ، وحبسوا فى شعب أبى طالب وذلك فيما يقال ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة ، وقد قيل غير ذلك ، واشتد الحصار وقطعت عنهم الميرة والمادة فلم يكن المشركون يتركون طعامًا يدخل مكة ولا بيعًا إلا بادروه فاشتروه حتى بلغهم الجهد والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود ، وحتى كان يسمع من وراء الشِّعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرًّا وكانوا لا يخرجون من الشعب ؛ لاشتراء الحوائج إلا فى الأشهر الحرم ، وكانوا يشترون من العير التى ترد مكة من خارجها ولكن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم فى السلعة قيمتها حتى لا يستطيعون شراءها(١) .

نَقْضُ الصَّحِيفَةِ :

وكانت قريش بين راض وكاره لهذه المقاطعة ، وقد أحزنت تلك الآلام بعض ذوى الرحمة من قريش فكان أحدهم يوقر البعير زادًا ثم يضربه فى اتجاه الشعب ، ويترك زمامه ليصل إلى المحصورين ، فيخفف شيئًا مما بهم من إعياء وفاقة .

قال ابن كثير رحمه الله: ثم سعى فى نقض تلك الصحيفة أقوام من قريش فكان القائم فى أمر ذلك هشام بن عمرو من بنى عامر بن لؤى مشى فى ذلك إلى المطعم بن عدى وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك (٢) .

ثم أخبر رسول اللهﷺ عمه أبا طالب أن الله - عز وجل- أرسل على تلك الصحيفة الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جود وقطيعة وظلم إلا ذكر الله عز وجل ؛ فخرج أبو طالب إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا ، فإن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه ، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا ، قالوا: قد أنصفت ، وبعد أن دار الكلام بين القوم وبين أبي جهل قام المطعم إلى الصحيفة ؛ ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا "باسمك اللهم" وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله ، ثم نقض الصحيفة وخرج رسول اللهﷺ ومن معه من الشعب وقد رأى المشركون آية عظيمة من آيات نبوته ولكنهم كما أخبر الله عنهم: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر: ٢]

---

(١) المصدر نفسه ص ١١٢ .

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ١٤٨ .

أعرضوا عن هذه الآية وازدادوا كفرًا إلى كفرهم[١] .

آخِرُ وَفْدِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِى طَالِبٍ:

خرج رسول الله ﷺ من الشعب وجعل يعمل على شاكلته ، وقريش وإن كانوا قد تركوا القطيعة لكنهم لم يزالوا عاملين على شاكلتهم من الضغط على المسلمين والصد عن سبيل الله ، وأما أبو طالب فهو لم يزل يحوط ابن أخيه ، لكنه كان قد جاوز الثمانين من سنه وبدأ المرض يلاحقه وحينئذ خاف المشركون سوء سمعتهم فى العرب إن أتوا بعد وفاته بمنكر على ابن أخيه ، فحاولوا مرة أخرى أن يفاوضوا النبى ﷺ بين يديه .

قال ابن إسحاق وغيره: لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريش ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأخذ على ابن أخيه ، وليعطه منا ، والله ما نأمن أن يبتزونا[٢] أمرنا .

وفى لفظ: فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب ، يقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه .

مشوا إلى أبى طالب فكلموه ، وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب فى رجال من أشرافهم وهم خمسة وعشرون تقريبًا فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى ، ونخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه ؛ فخذ له منّا وخُذْ لنا منه ؛ ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه ، فبعث أبو طالب فجاءه فقال: يا ابن أخى ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك ، وليأخذوا منك ثم أخبره بالذى قالوا له ، وعرضوا عليه من عدم تعرض كل فريق للآخر ، فقال لهم رسول الله ﷺ : **«أرأيتم إن أعطيتكم كلمة تكلمتم بها ملكتم بها العرب، ودانت لكم بها العجم»** وفى لفظ أنه قال مخاطبًا لأبى طالب: **«يَا عَمِّ أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمْ الْجِزْيَةَ»** وفى لفظ آخر قال: **«أي عمِّ أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم؟»** قال: وإلام تدعوهم؟ قال: **«أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم»** ولفظ

---

(١) الرحيق المختوم ص ١١٤ .

(٢) ابتزه أمره: سلبه إياه وغلبه عليه .

رواية ابن إسحاق: «**كلمة واحدة تعطوها؛ تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم**» فلما قال هذه المقالة توقفوا وتحيروا ولم يعرفوا كيف يرفضون هذه الكلمة الواحدة النافعة إلى هذه الغاية والحد؛ ثم قال أبو جهل: ما هى وأبيك لنعطيكها وعشر أمثالها؟ قال: تقولون: «**لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه**» فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟! إن أمرك لعجب؛ ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئًا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم؛ حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وفى هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ ﴾ [ص: ١ - ٧] (١).

السِّمَةُ السَّادِسَةُ: النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِنَصْرِ اللَّهِ وَالتَّمْكِينِ لِدِينِهِ

كان النبى ﷺ يبشر أصحابه بنصر الله - عز وجل- ويبث الثقة واليقين فى قلوبهم بأن الكون كله سيدين لله وستعلو راية: "لا إله إلا الله" خفاقة عالية وكان أصحابه فى هذا الوقت مستضعفين يعذبون فى رمضاء مكة؛ حتى جاءه خباب يشكو له هذا البلاء الذى تعرض له؛ فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ(٢): أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**».

فمع كل هذا البلاء كان النبى ﷺ يثبت قلوب أصحابه بتلك البشريات العظيمة بل كان القرآن يتنزل فى تلك الفترة العصيبة؛ ليبشرهم بنصر الله - عز وجل- قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ ﴾ [غافر: ٥١] قال تعالى:

---

(١) الرحيق المختوم ١١٥ - ١١٦.

(٢) البخاري ٣٦١٢.

﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٥] قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٦ - ٣٧].

فالله - جل وعلا- لا يسلم أولياءه لأعدائه، وإن ظهر أعداؤه في وقت فهذا كله بتقدير الله، ولكن العاقبة دائمًا تكون لأهل الإيمان والتوحيد وقد وردت أحاديث توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره؛ بحيث لا يدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه، وها أنا أسوق ما تيسر من هذه الأحاديث عسى أن تكون سببًا؛ لشحذ العاملين للإسلام ومحجة على اليائسين المتواكلين؛ فَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [(١)]: **«إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»**... وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ[(٢)]: **«لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ وَذُلا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»**.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلاً يَكُفُّ حَدِيثَهُ فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الأُمَرَاءِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [(٣)]: **«تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ**

---

(١) مسلم (١٦/ ١٣)، الفتن وأشراط الساعة والترمذي (٩/ ٢٢) الفتن وأبو داود ٤٢٣٢.

(٢) أحمد ٤/ ١٠٣، والحاكم (٤/ ٤٣٠، ٤٣١).

(٣) أحمد ٤/ ٢٧٣ وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٨٩) رجاله ثقات وهو في الصحيحة رقم ٥. نقلا من سيرة الرسول لأبي عمار.

تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ» .

فعلى الرغم من هذا الظلام الحالك الذى تعيشه الأمة فوالله إنا لمتفائلون وموقنون بنصر الله فهو وعد الله ووعد رسول الله ﷺ بالنصر لهذا الدين ، وإن ما نحن فيه ما هو إلا حالة مؤقتة ليميز الله الخبيث من الطيب فى زمن عمَّت فيه الفتنة وطمَّت ، فكان لابد من البلاء والتمحيص ؛ فأبشروا يا شباب الصحوة بنصر الله ، فالنصر قادم إن شاء الله تعالى ولكن علينا أن نكون عبادًا لله ؛ لنكون أهلاً لنصر الله عز وجل[1] .

* * *

(١) سيرة الرسول أبو عمار ١٣١ - ١٣٣ مختصرًا .

obeikandl.com